الأهرام

المصدر : الحياه

التاريخ : ٢ نوفمبر ٢٠٠١

عبد الله أنس رفيق أسد بانشير يروي لـ الحياة فصولا من تجربته الأفغانية الحلقة الرابعة

ضرب الروس "أسد بانشير" في سلطان شيرا فرد عليهم بفتح مديرية فرخار: ١٤ يوماً وطائرات السوخوي تدك معاقلنا. لكن المعركة لم تكن بدأت فالكوماندوس تقاتلون

□ يتحدث عبدالله انس في هذه الحلقة من تجربته الأفغانية قصة تعمّق صداقته مع احمد شاه مسعود. ويروي تفاصيل حياته مع «أسد بانشير» في سلطان شيرا في سلسلة جبال الهندركوش. وقصة الهجوم الروسي جواً وبراً على معقله هناك، وكيف اضطر الى الانسحاب ليلاً، وكيف رد الصاع صاعين للروس بفتح مديرية فارخار.

□ *اعداد كميل الطويل*

■ تطورت علاقتي باحمد شاه مسعود مع مر الشهور. رايت فيه قائداً فذاً يملك مشروعاً لكل افغانستان. رايت فيه الخير، وكنت اعتقد جازماً ان في استطاعته، بالتعاون مع قادة الجهاد الآخرين، هزيمة الروس وتحقيق مستقبل مشرق لبلده.

لاحظت منذ اللحظة الأولى للقائي معه انني اتحدث مع شخص غير عادي. قبل ذهابي اليه في سلطان شيرا، كنت التقيت قائد قوات «الجمعية الإسلامية» مولوي محمد علم في مزار الشريف. لم استطع سوى ان أجري مقارنة بينهما. وجدت ان مولوي أمير مهم ويحظى باحترام في منطقته، لكن نشاطه محدود وكذلك برنامجه، خصوصاً إذا قورن ببرنامج مسعود ونشاطه.

اخذت افكر في الأمر. كنت ابيت، في طريقي من مزار الشريف الى سلطان شيرا للقاء مسعود، في بيوت قادة المجاهدين، سواء من الجمعية او الحزب الإسلامي. وكان العربي في ذلك الوقت محبوباً لدى الجميع. من خلال مروري على هؤلاء القادة كنت الاحظ ان الواحد لا يختلف عن الثاني. ما يشغل كل منهم هو منطقته التي هي محور مسؤوليته في إطار الجهاد في سبيل الله. كان نشاط هؤلاء القادة محصوراً بمناطقهم، سواء كانت قرية او مديرية او ولاية. ولكن عندما التقيت مسعود وجدت انني اتعامل مع شخص يصدر التعليمات الى كل القادة الذين مررت عليهم، وكان على هؤلاء ان يقدموا اليه تقريراً، مرة في الاسبوع على اقل تقدير، عن الأوضاع في مناطقهم. وجدت نفسي مع شخص لا يُتعامل معه على أنه فقط «امير بانشير»، بل مع شخص يملك مشروعاً لافغانستان كلها.

لا اعتقد بان النظرة التي كوّنتها عن افغانستان كانت ستُتاح لي لو لم التقِ مسعود وبقيت مع القادة المحليين الآخرين. صار لا يتغدى إلا في حضوري، فاتحني في شؤون عدة. حدثني كيف بدأ الجهاد. اعطاني لمحة عن كل قائد، عن علاقته بحكمتيار في بيشاور وقبل ذلك في كابول. حدثني عن «المهندس حبيب الرحمن - وكنت اسمع باسمه للمرة الأولى - وقال لي ان هذا الرجل لو بقي حياً لكان الحاكم لأفغانستان.

لا يمكن ان اتكلم على صفات مسعود ومناقبه وشخصيته. فهذا الأمر يتطلب مجلدات ولا يمكنني ان افيه حقه. كان عظيماً. ولا أزال حتى اليوم اجهل لماذا اصرّ على الا افارقه طوال السنوات التي امضيتها معه.

في اليوم الثالث لوجودي معه في مغارته الجبلية، جاءتني جماعة من قواته. قالوا لي: هناك عربي ثان موجود هنا أيضاً، ولكن في جبهة اخرى من جبهات مسعود. هو معنا منذ فترة طويلة ولم يرَ عربياً واحداً. لا شك في أنه سيفرح كثيراً برؤياك. فقلت لهم «إنني فرح اكثر منه، فخذوني الآن اليه». ذهبنا سيراً في الثلوج قرابة ساعتين، ودخلنا مغارة فوجدته فيها مع أربعين مجاهداً يدربهم على قراءة القرآن. كان يعطيهم كل يوم صباحاً ساعة تجويد في القرآن. سلّمت عليه وتعارفنا. هو كردي عراقي يدعى محمد ابو عاصم، ويتحدث الفارسية بطلاقة. وقد لقي الشهادة بعد شهرين من هذا اللقاء.

بقيت معه حتى العاشرة ليلاً، عندما سمعت الباب يدق. دخل شخص يدعى تاج الدين، وكان عمره آنذاك ٥٤ سنة ويعمل حارساً شخصياً لمسعود الذي تزوّج لاحقاً بابنته. وكان بدأ الجهاد مع مسعود من الطلقة الأولى في ١٩٧٩. وأذكر انني اخبرت الشيخ عبدالله عزام لاحقاً

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

ان مسعود تزوّج من ابنة حارسه، فعلّق قائلاً: مسعود الذي نتمناه أي فتاة من افانستان يتزوج ابنة حارسه! إن دل هذا على شيء فإنه يدل على تواضع الرجل.

أخبرني تاج الدين ان «الامير ينتظرك». فقلت له: « الثلج امتار في الخارج ونحن في عتمة الليل. لم يبق سوى ساعات قليلة على طلوع الفجر، فلننتظر قبل ان نتحرك». لكنه أصر على الانطلاق فوراً فـ«امير صيب» يطلبني.

وكان مسعود في مغارة تبعد عن مغارتنا قرابة ساعتين سيراً في هذه المنطقة الوعرة من جبال الهندوكوش. كانت له مغاور عدة يوزّع عليها مجموعاته التي تضم الواحدة منها نحو ٢٠ مجاهداً. ولكن كانت هناك مغارة أساسية تُعرف بـ«مغارة الإمارة» او مركز القيادة، وكانت تضم خرائط واجهزة اتصال لاسلكية. وكان يتنقل دوماً من مغارة الى اخرى مع مجموعة خاصة من المقاتلين تلازمه ٢٤ ساعة في اليوم وتحمل معها العدة والعتاد. وكانت المجموعات الأخرى ثابتة في مراكزها ومغاورها. لكنه كان كثير الترداد على مغارته الاساسية، «مغارة الإمارة»، إذ يزورها ما لا يقل عن ثلاث مرات في الأسبوع.

وصلت مع تاج الدين الى مسعود، فطلب مني ان أعطيه نصف ساعة في التجويد كل صباح. كان يقرأ القرآن واما أصحح مخارج الحروف. وهكذا استمر برنامج الدروس كل يوم، وكان ياتي مولوي قاري بعد ذلك ويعطيه الدرس الديني لمدة ساعة. وبعد ذلك تاتي المجموعات اللاسلكية وتقدم إليه التقارير التي يتلقونها من الجبهات والمعلومات عن تحركات الروس في ممر سالانغ، وعن المواجهات مع الروس والشيوعيين. كان لديه ارتباط حتى باشخاص داخل الحكومة الأفغانية يمدونه بمعلومات. وفي كثير من الاحيان كان يستطيع بالمال ان يشتري من جنرالات روس خطة تحرك قواتهم قبل أن تبدأ. حتى انه كان يشتري الرشاشات من الجنود الروس انفسهم بثمن زهيد.

الشهور الثلاثة الأولى التي امضيتها مع مسعود كانت رائعة. كنت أرى القادة العسكريين يتوافدون عليه من كل المناطق لتلقي التعليمات. وسمح لي وجودي الى جانبه بالتعرف إلى معظم قادة الجهاد الأفغاني وربطتني بكثيرين منهم صداقة لا ازال أقدرها حتى اليوم. وبما انه كان ينظر اليّ على انني «العربي المفضل عند الأمير»، فقد كان ذلك يعني ان كثيرين ظنّوا انني «مفتاح لقب» أحمد شاه مسعود.

صراعات المجاهدين

لكن وجودي مع مسعود في تلك الفترة اكد لي امراً كنت اشعر به منذ فترة. إذ لاحظت ان معظم زوار «أسد بانشير» هم قادة حزبه، الجمعية الإسلامية، وبعض قادة الاتحاد الإسلامي (عبد الرسول سياف) والحركة الإسلامية (بقيادة محمد نبي). لم يكن بينهم قادة من الحزب الإسلامي التابع لغلب الدين حكمتيار. فلفت ذلك انتباهي. ادركت ان حكمتيار ومسعود هما الشخصيتان الاساسيتان اللتان يمكن ان تنتصر بهما افغانستان او تنكسر. ومن خلال السرد الذي تلاه عليّ مسعود في شان صلته بحكمتيار منذ أيام كابول، قبل أن يهاجرا، ثم بعد هجرتهما الى بيشاور إثر انكسار الجهاد ايام داود، وجدت ان للرجلين دوراً بارزاً في كل حلقة من حلقات الأزمة الأفغانية.

قلت لنفسي ان علي زيارة قادة حكمتيار في الشمال. إذ لا استطيع ان اعود الى بيشاور واقدم تقريراً إلى الشيخ عبدالله عزام واقول فيه ما حصل خلال الشهور التي أمضيتها مع مسعود ولا أذكر شيئاً عن الحزب الإسلامي وقادته. كنت أعرف ان الشيخ سيسألني: من التقيت من قادة حكمتيار؟ ومعنى عدم لقائي إياهم انني لم اكن محايداً.

ذهبت الى قائد الحزب الإسلامي «الانجنيير بشير»، وهو شعلة إيمان وحيوية. جلست معه في منطقته في مديرية شكامش في ولاية تخار، وكان اول ما قاله لي: تاتي الى افغانستان لتعيش مع «الغوركا» في جبال الهندوكوش؟ إنزل الى هنا لترى الأسواق والناس. هل ياتي أحد الى أفغانستان للعيش مع الذئاب بين الثلوج وفي مغاور الجبال مع مسعود؟ تعال الى هنا. وكان يقصد ان اذهب الى هذه المناطق التي تعجّ بالحياة والواقعة تحت نفوذ الحزب الإسلامي، في حين تركز نفوذ مسعود وقواته في الجبال النائية فقط. كان يتحدث مازحاً، لكنه كان يقصد كل كلمة. كان يريد القول ان المناطق التي تحت سيطرته مهمة، بينما مناطق مسعود ليست ماهولة.

تعرّفت إليه، وبالفعل وجدته ثاقب الشخصية. لا أقارنه بشخصية مسعود، لكنه كان إنساناً ذكياً وكله توقد وحيوية. وكان اصغر من مسعود في السن.

عدت الى مسعود بعدما كوّنت صورة عن الوضع من الحزب الإسلامي. فقال لي: «ها، شفت الانجنيير بشير، اليس كذلك؟» قلت له: نعم. وقدّمت إليه الانطباعات التي تكونت عندي. وقلت له: انه رجل كله حيوية، فلماذا لا تتصالح معه؟ فأجاب: ارغب في ذلك، فاقنعه إذا كنت تستطيع.

لم يكن بامكاني الانحياز الى طرف دون آخر، لأنني في الأصل مبعوث من «مكتب الخدمات» ولست رجل مسعود. وظيفتي سفير «مكتب الخدمات» في شمال افغانستان، وبالتالي كان عليّ ان أحافظ على حيادي. فـ«مكتب الخدمات» مهمته في الأصل منع العرب من الدخول طرفاً في خلافات الأفغان. وعلى رغم صداقتي الكبيرة مع مسعود ومحبتي له، إلا انه لم يكن بامكاني الانحياز اليه. وكان بالفعل رجلاً عظيماً، إذ لم يحاول ان يستغل علاقتي به للتاثير في موقفي.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

هجوم روسي

عرفت ان التقريب بين الجمعية الإسلامية والحزب الإسلامي اكبر مني، ويتطلب تحضيراً جيداً إذا أريد له النجاح. ولكن قبل ان ابدا تحركي في هذا الشان، طرا امر اخر اكثر الحاحاً: كان الوقت صباحاً، وبدانا كعادتنا بدرس التجويد. ولكن لم تمر لحظات حتى راحت الصواريخ تنهال علينا من كل حدب وصوب. تركّز القصف على مساحة عشرة كيلومترات مربعة تنتشر فيها مغاور مسعود في سلسلة جبال الهندوكوش في سلطان شيرا. فاتصل مسعود باللاسكلي ليعرف ماذا يحصل، فقيل له ان الروس يشنون عملية مباغتة.

توقفت الصواريخ فجاة. ولكن بعد عشر دقائق وصل سرب جديد من طائرات «السوخوي ٢٥» وبدات تدك المنطقة دكاً. بعد نصف ساعة، وصل سرب ثالث، وافرغت طائراته ما في بطنها من قنابل. لم يكن في استطاعتنا ان نجمع شهداءنا وجرحانا. كانت الطائرات تصل فوق سماء المنطقة باسراب يضم الواحد منها ما لا يقل عن ٢٥ طائرة تتولى الإغارة على مواقعنا بكثافة رهيبة. فايقن مسعود بان الروس يحضّرون لحملة شرسة بعد انتهاء القصف الجوي. بدا يتصل باللاسكلي من داخل مغارته. امر المجاهدين بان يتسلقوا فوراً قمم الجبال التي لم يكن يقل علوها عن ستة الآف الى سبعة الآف متر. كان يريدهم ان يصعدوا الى القمم لمنع حصول اي إنزال روسي محتمل. كان يريدهم ان يفاجئوا الروس قبل ان يفاجئونا. فالهليكوبتر يمكنها ان تنزل في ساحة لا تتجاوز ٢٠ الى ٣٠ متراً، وذو استطاع المجاهدون المسلحون بقاذفات الـ «ار بي جي» الوصول الى القمم قبل الروس فإنهم سيتمكنون من تعطيل اي عملية إنزال جوي.

صعد المجاهدون فعلاً الى قمم الجبال. لكن الحملة الجوية استمرت على حدتها. كان يفصل بين السرب الأول والثاني ساعة أو نصف ساعة. وظلت طائرات «السوخوي» تدك المنطقة ١٤ يوماً، مما احدث ارتباكاً شديداً في صفوف قوات مسعود، حتى انه لم يعد بمستطاعنا الخروج للوضوء. كان يفصل باب المغارة عن النهر ٥٠ الى ٦٠ متراً، وهي في بطن الجبل، ولم يكن بامكاننا الهبوط منها الى اسفل الوادي للوصول الى النهر. كانت شظايا الصواريخ تسقط في الوادي وتتطاير عند سفوح الجبال الصخرية لكنها تتوقف عند مدخل المغارة. كنا محميين في داخلها. لكن لون الجبال المحيطة بنا صار ناصع البياض. كانت صخوره كالثلج، بعدما نظفتها شظايا القنابل. ظللنا في هذا الجحيم ١٤ يوماً، من صلاة الصبح الى صلاة المغرب. أنهكت قوات مسعود. لكن المشكلة الكبرى واجهت القوات التي صعدت الى قمم الجبال. ففي الأيام الأولى كان يمكن المجازفة بإرسال الطعام اليهم. لكن ذلك لم يعد ممكناً بعد اليوم الرابع. إذ لم يعد أحد قادراً على التحرك من مكانه.

وكان الروس يُركّزون قصفهم على النقطة التي يتمركز فيها مسعود. فانقطع الاتصال بالشباب فوق رؤوس الجبال. كانوا اربع كتائب تضم كل واحدة منها ما بين ١٥ الى ٢٠ رجلاً. أذكر بينها كتيبة سيّد يحيى، رحمه الله (الذي استشهد سنة ١٩٩٠ في فتح خوجهاغار، على حدود طاجيكستان، على يد مدفعية جماعة مدفعية عبدالرشيد دوستم)، وكتيبة الكوموندان مسلم، وكتيبة باناه، رحمه الله. انقطع الطعام عنهم تسعة أيام أمضوها ياكلون العشب وينتظرون وصول الروس. كانوا يعرفون ان كل هذا القصف انما هو للتمهيد للإنزال.

لم تكن هذه المجموعات من المجاهدين هي كل قوات مسعود. إذ ان مركز قوته الاساسي في وادي بانشير حيث تتبعه قوة تضم الآفاً عدة من المقاتلين. وقد خرج من بانشير لتخفيف الوطاة عن المنطقة بعدما أعلن الروس «عمليتهم الشرسة» لتصفية المقاومة فيها. أخرج معه نحو ١٥٠ مقاتلاً من النخبة، ولجا الى مغاور سلطان شيرا. ويبدو ان الروس علموا، بعد ثلاثة اشهر من الدعايات والإشاعات عن اختفائه، انه مختبئ في سلطان شيرا فقرروا هجوماً مباغتاً على معقله في ١٩٨٥.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

... وبدأ الإنزال

كان اعتمادنا على القوات المتمركزة فوق قمم الجبال، وهمنا ضمان عدم أسر مسعود. فلو استطاع الروس إنزال قواتهم على قمم الجبال فكان ذلك سيعني أننا صرنا محاصرين. ظللنا على هذا الوضع ١٤ يوماً. في اليوم الـ١٥ توقف القصف الجوي. ثم بدأنا نسمع هدير المروحيات. كانت تقترب منا. نظرنا من مغارتنا فرأينا الروس ينزلون على قمة الجبل المقابل والذي لا يبعد عنا أكثر من كيلومترين. كانت مهمة مجموعة السيد يحيى التصدي لهم. وصل الكوماندوس تحمله مروحيات عسكرية. كانوا يعتقدون بأنهم سيحتلون الوادي كله من دون خسارة بعد القصف الجوي طوال الأيام الـ١٤ الماضية. لكنهم لم يكونوا يتوقعون أن يصبر الشاب فوق رؤوس الجبال كل هذه الفترة. لا بد من أنهم تساءلوا: كيف يُعقل أنهم ما زالوا أحياء بعد كل هذه الأطنان من القنابل التي رميناها عليهم؟ لكن المجاهدين كانوا سالمين على رؤوس الجبال، فالروس دكّوا بقنابلهم بطن الوادي فقط.

اقتربت قوة الكوماندوس من الجبل تُقلُّها ثلاث طائرات. وما أن بدأت بإنزال العسكريين حتى اندلعت المواجهة مع المجاهدين الذين استطاعوا إسقاطها كلها في الدقائق العشر الأولى من المعركة. ضربوها بصاروخ «آر. بي. جي». فظن الروس عندها أن قمم الجبال كلها المحيطة بمكان الإنزال تعج بالمجاهدين. فانسحبوا الى الجبال الواقعة خلفنا وأنزلوا الكوماندوس هناك. وتحولت المعركة من الطائرات الى المدفعية.

كان الروس مهّدوا لمعركة سلطان شيرا بدخول مديرية شكاميش القريبة. نصبوا فيها مدفعيتهم وأطلقوا لها العنان في اتجاه منطقة مسعود التي تبعد أقل من ٥٠ كلم. أطلقوا وابلاً رهيباً من الصواريخ، لكنهم لم يستطيعوا التقدم. واصلوا القصف أربعة أيام أخرى. عندها تيقّن مسعود انه مستهدف. فقرر الإنسحاب الى منطقة أخرى. باشرنا الانسحاب ليلاً في اتجاه منطقة فارخار. وبما انه أصرّ على عدم ترك أثر يسمح للروس بتعقّبنا، لم يكن أمامنا سوى السير في وسط النهر الذي يفصل ما بين الجبال الشاهقة. حملنا كل شيء معنا، ولم تبق وراءنا سوى قوات خفيفة تؤخر تقدم الروس.

وكان علينا أن ننقل معنا ليس أمتعتنا وأسلحتنا والذخائر فقط، بل أيضاً الأسرى الروس والشيوعيين الذين كان مسعود يحتجزهم. إذ انه كان أحضرهم معه الى سلطان شيرا عندما اشتد عليه ضغط الروس في بانشير. لم يكن انهى محاكمتهم عندما بدأ الهجوم الجديد على سلطان شيرا، فأمر بجلب الأسرى معنا خلال عملية الانسحاب، وأفرد لهم ما لا يقل عن ٢٠ مقاتلاً لحراستهم وتأمين حمايتهم خشية استغلالهم الارتباك الذي تُحدثه العملية الروسية فيفرون. كلّف بهم القائد محمد سيد خان وقال له: يجب ان يبقى هؤلاء آمنين في اي ظرف. لم ينته التحقيق معهم ولم نحصل بعد على المعلومات منهم، ولذلك أُكلّفك ضمان أمنهم وسلامتهم. عليك أن توصلهم الى فرخار، وتجد مكاناً آمناً لهم. فرد: هذه وظيفتي ولا تهتم بها. إذهب ودبّر رأسك وأخرج من المنطقة قبل وصول الروس.

انطلق مسعود مع قواته التي كانت أصلاً معه في «مغارة الإمارة». كنا نمشي في وسط النهر، والماء تصل الى ما فوق الركبة. لم يكن بوسعنا السير سوى في وسط النهر وفي الليل فقط. مشينا في واحدة من هذه الليالي طوال سبع ساعات حتى وصلنا الى منطقة مع طلوع الفجر. فتح مسعود عندذاك خيمته، وقرر النوم في ذلك الموقع.

كنا نحو مئة، وبيننا جرحى ومرضى. كُنّا في حال يرثى لها، ومنهكين بعدما حملنا امتعتنا وسرنا كل هذه المسافة. بعضالشباب أصرّ على حمل كل

العتاد الذي كنا نملكه فلا يترك للروس. حمل هؤلاء الصواريخ على ظهورهم. كثيرون منهم حملوا فوق طاقتهم. لذلك، ما ان توقفت القافلة وفتح مسعود خيمته للمبيت حتى ارتمى المقاتلون في مكانهم. وضعوا رؤوسهم فوق أي صخرة وجدوها وحاولوا النوم.

كانت المنطقة صخرية. أشبه بحفرة في الأرض تُحيط بها الجبال من كل مكان. لذلك، اعتقدنا بأن المكان محمي جيداً، لأن الصواريخ ستصطدم بالجبال الأعلى منا ولن تصل الينا في حفرتنا في أسفل الوادي.

المطاردة والشهداء

ما نمنا ساعة، وكنت إلى جانب مسعود في خيمته، وهي لنفرين فقط، حتى بدأ وابل من الصواريخ ينزل علينا كالمطر في عمق الحفرة. وفي أقل من خمس دقائق سقط لنا أكثر من ٢٠ شهيداً. تناثرت أشلاء جثثهم على الصخور التي تخضبّت بالدماء. كان منظراً لا يمكن تخيّله. ويبدو ان قوات الكوماندوس التي كانت تلاحقنا من قمم الجبال الخلفية حددت مكاننا بدقة. لم تستطع قطع الطريق الأمامية علينا لأن قوات مسعود كانت متمركزة على القمم. فتوجهت الى سلسلة الجبال المقابلة وكانت تعطي التعليمات عن تحركنا من بعيد.

أصابتنا الصواريخ في وسطنا. احترنا أين ندفن الشهداء. فالمنطقة ليست ترابية لنحفر الارض وندفنهم. المنطقة كلها صخور. جمعنا القتلى في مكان واحد ووضعنا فوقهم الصخور، وواصلنا الانسحاب في اتجاه فارخار وهي مديرية تابعة لولاية تاخار.

www.ethraadl.com

إثراء
المعارف الرقمية

وصلنا اليها منهكين بعد سبعة أيام من السير. لكننا وجدنا أنفسنا أمام مشكلة جديدة. فالممر عبر الجبل الأخير الذي يفصلنا عن فارخار يقع في يد الحزب الإسلامي المختلف مع مسعود. لكن موقف المسؤولين عن الحزب كان رجولياً. فعلى رغم كل الخلافات بينهم، عرفوا أن مسعود تلقى ضربة من الروس وانه منهك مع قواته بعد اسبوع من الفرار، فوافق قائد الحزب الإسلامي على السماح له بعبور منطقته مع مجموعاته. عبر فارخار ونزل عند أحد القادة التابعين للجمعية الإسلامية.

بعد انسحاب مسعود من سلطان شيرا دخلها الروس واحتلوها. لكن عمليتهم كانت سياسية اكثر منها عسكرية. فالمنطقة لم تكن تعني شيئاً أصلاً لمسعود، وهو لم يلجأ اليها سوى لتخفيف الضغط عن معقله في بانشير. احتل الروس المنطقة لبضعة أيام. تجولوا في شعابها التي كانت مخابئ لقوات مسعود، وتعرفوا إلى طريقة ترتيبه مغاوره. ثم غادروا.

بعد الانسحاب من سلطان شيراً، وجد مسعود نفسه

محاصراً. فالروس يضربون بانشير بقوة في عمليتهم الضخمة لإنهاء المقاومة. وسلطان شيرا، نقطته الخلفية التي لجا اليها طوال أربعة أشهر، فقدها أيضاً. وهو لا يستطيع الانسحاب في اتجاه باكستان، لأنها بعيدة جداً. وفي فارخار، كان آمناً بين مجاهدي الجمعية الإسلامية، لكن ولاء هؤلاء ليس له. فما يربطه بهم هو انتماؤهم جميعاً الى الجمعية الإسلامية بقيادة برهان الدين رباني. لكنهم ليسوا بانشيريين، ولا يستطيع بالتالي أن يأمر وينهى فيهم، مثلما يفعل بين أبناء منطقته في بانشير. فرأى ان لا بد له من استعادة الاعتبار وكسب المنطقة الى صفه. فقرر مع إثنين من اعيان المنطقة هما عبدالله كازستان وسيد هاشمي، وهما من الأصول العربية في أفغانستان، مهاجمة مديرية فرخار وفتحها.

وفي خلال أربعة أيام، جمع مسعود القادة وقرر شن هجوم مباغت على مركز المديرية. وكان يريد استغلال عامل الوقت، فالقوات الروسية والشيوعية المتحالفة معها مشغولة في سلطان شيرا. هاجم مسعود مركز المدينة، وفي خلال خمس ساعات سقط في يديه ١٥٠ أسيراً وفتح المنطقة واستولى على غنائم كبيرة. وحقق له ذلك رصيداً بين سكان المنطقة الذين يفتخرون بهذا الانجاز الذي حققه لهم.

العودة الى بيشاور

بعد نحو أربعة أيام، تركتهم منشغلين بهمومهم وقررت العودة الى بيشاور. فقد رأيت أموراً كثيرة وصرت على علاقة وثيقة بمسعود. فاردت ان أعود الى بيشاور لإبلاغ الشيخ عزام بالتطورات.

أبلغت مسعود قراري فوافق، لكنه رجاني ألا أطيل البقاء هناك لأكثر من شهر. رجعت الى بيشاور، لكنني كنت أعرف ان ما سأنقله الى الشيخ عزّام سيكون مختلفاً عما نقلته في المرات السابقة. كنت أريد شرح بعض الأمور المتعلقة بمسعود والتي لا يعرفها العرب. كنت أريد التحدث عن الحساسية الكبيرة بين الحزب الاسلامي والجمعية الإسلامية، وانه لو تم إصلاح ذات البين بين الحزبين ستنتهي المشاكل في أفغانستان. كان حكمتيار يدير من بيشاور كل صغيرة وكبيرة في أفغانستان، وله صلة مباشرة بقادته في الداخل، وسلطة مطلقة على شؤون حزبه. وكان لمسعود الأمر ذاته... وقدرته العسكرية والإدارية ورحابة صدره وقدرته على جمع الناس من حواليه، كل هذه الصورة عنه كانت غائبة في بيشاور. لذلك، أردت ان أسعى لدى الشيخ عزّام ليجمع الرجلين على ذلك يوحّد قوة المجاهدين.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية